

مظاهر عبادة ساتورنوس الإفريقي وريث بعل حمون بنوميديا
من خلال الأدلة الأثرية والإيكونوغرافية

**The Cult of African Saturn the Heir of Baal Hammon in
Numidia through Archeological and Iconography Witnesses**

د/ حسينة عينوش *

المركز الجامعي مرسلبي عبد الله - تيبازة / الجزائر
ainouche.hassina@cu-tipaza.dz

تاريخ القبول: 2024/11/04

تاريخ المراجعة: 2024/08/07

تاريخ الإرسال: 2024/07/27

الملخص:

شهدت عبادة ساتورنوس، كبير آلهة البانثيون الإفريقي، رواجاً كبيراً بشمال إفريقيا وبنوميديا بصفة خاصة. ويعزز ذلك ارتباطه بالآله المحلي بعل حمون، كبير الآلهة البونية، رمز الخصب والرخاء الذي استمرت عبادته حتى الفترة الرومانية تحت تسمية "ساتورنوس" إله الخصوبة و الزرع. ولعلّ السبب الرئيسي لهذه الاستمرارية هو ارتباط سكان شمال إفريقيا وخاصة المحليين بالأرض وبمختلف الأنشطة الفلاحية. تهدف هذه الدراسة إلى إبراز المكانة الهامة التي حظي بها ساتورنوس الإفريقي خليفة بعل حمون البوني في شمال إفريقيا وعلى أرض نوميديا على وجه الخصوص. إذ لقيت عبادته انتعاشاً كبيراً وتركت أدلة أثرية وإيكونوغرافية لا يستهان بها من أنصاب نذرية وكلّ ما تحمله من دلالات، ونقوشات لاتينية ونحت تمثالي وبقايا معابد. سيكون لنا الحديث عن تلك المخلفات الأثرية بين الوصف المادي والتحليل اللغوي والإيكونوغرافية. وسنتطرق إلى التقاء بعل حمون وساتورنوس على أرض إفريقيا تحت شعار الهيلينية كونهما يمثّان الإله كرونوس الإغريقي والعلاقة التي تربطهما.

* د/ حسينة عينوش / الجزائر



وستتناول الأسرار الساتورنالية والممارسات الطقوسية الخاصة بالإله من نوع مولك ومولكومور.

الكلمات المفتاحية: ساتورنوس؛ بعل حمون؛ نوميديا؛ عبادة؛ معابد؛ أنصاب؛ نقيشات؛ إيكونوغرافيا.

Abstract:

The cult of Saturn, the great figure of the African pantheon, was very popular in North Africa and Numidia in particular, due to its association with the punic god Baal Hammon, a symbol of fertility and prosperity. His worship continued until the Roman period under the name of Saturn. The main reason of this continuity is the attachment of the people of North Africa, especially the locals to the land and agricultural activities. This study aims to highlight the important position that Saturn enjoyed in Numidia. He left significant and iconographic evidence as stelae and their symbols, inscriptions, and the remains of temples. We will have a talk about these archeological remains between the physical description and the linguistic and the iconographic analyses. We will touch on the meeting of Baal Hammon and Saturnus in Africa under the slogan of Hellenism and we will deal with the Saturnalia ritual secrets.

Keywords : Saturn; Baal Hammon; Numidia; cult; temples; stelae; inscriptions; iconography.

- مقدمة:

اتخذ الإغريق ثم الرومان عددا وفيرا من الآلهة، كانت لهم صفات البشر جسديا وفكرا ووجدانا. كانوا يرون أنّ آلهتهم كالإنسان طبيعة وشكلا، إلا أنّها تختلف عنه في أنّها جميلة خالدة وقوية، جمالا وخلودا وقوة يخشع معها لها الإنسان. ولم تكن ممارسة الطقوس إلا تعبيرا عمّا تجيش به خواطرهم من استرحام ورجاء.

والآلهة الرومانية هي نفسها الآلهة الإغريقية بأسماء مغايرة. تبلّث نمطها الإيكونوغرافي الهيليني فأصبحت تعرف بالآلهة الإغريقية الرومانية. وقد عرفت منطقة شمال إفريقيا الآلهة الإغريقية الرومانية بما فيها الرئيسية وعددها اثني عشر إلها والثانوية. وانتشرت عبادتها في كلّ المقاطعات الرومانية، كذلك كان حال نوميديا.



وعلى غرار الآلهة الإغريقية الرومانية ثمة آلهة رومانية محضة ليس هناك ما يقابلها في العالم الإغريقي. ونشهد كذلك آلهة بأسماء لاتينية وهي في الأصل آلهة إفريقية: ساتورنوس هو نفسه الإله بعل حمون البوني الذي سبق وأن تماثل مع كرونوس الإغريقي منذ القرن 5 ق.م.

بشمال إفريقيا، وصلت الآلهة الإغريقية مبكرا إلى قرطاج عبر صقلية أو الإسكندرية الهلنستية. ومع الملك ماسينيسا استطاع النوميدي نسج علاقات مباشرة مع العالم الهيليني. فانتشرت التأثيرات الإغريقية مع هئنة الآلهة الإفريقية. حينما أدلجت روما آلهتها إلى شمال إفريقيا حدث ما يعرف بالتلفيقية الدينية «synchrétisme religieux» بين الآلهة الليبية والبونية. هذا هو القدر العظيم الذي عرفه ساتورنوس على أرض إفريقيا كونه أصبح يماثل الإله بعل حمون البوني.

بفضل العمل الجبار الذي أنجزه الباحث الفرنسي مارسال لوقلي «Le Glay Marcel» حول ساتورنوس الإفريقي في سنوات الستينات، أصبحت عبادة هذا الإله معروفة فضلا عن كونها انتشرت بشكل واسع وتركت أثارا لا يستهان بها. هذا الإله الذي كاد أن ينسى في باقي الإمبراطورية الرومانية والذي كان يتوافق فقط مع موضوع أدبي للعصر الذهبي في منطقة لاتيوم الإيطالي، كان له مصيرا هائلا في شمال إفريقيا.

سيكون لنا حديث في دراستنا على التقاء بعل حمون وساتورنوس على أرض إفريقيا والعلاقة التي كانت تربطهما. هل ساتورنوس الإيطالي «Italique» هو نفسه ساتورنوس الإفريقي؟ ما هي الأدلة الأثرية والإيكولوجية التي تشهد على رواج عبادة ساتورنوس الإفريقي بنوميديا؟

1- التعريف ببعل حمون وساتورنوس:

تجمع كلّ الدراسات على القول بأنّ ساتورنوس الإفريقي هو وريث بعل حمون البوني قرين تانيت على أرض إفريقيا. ويتقاسم مع ساتورنوس الإيطالي «Saturne Italique» الاسم اللاتيني.

1-1- من هو بعل حمون: هو إله شرقي، فينيقي (Chastagnol André, 1970: 1321) وكبير الآلهة البونية. يتكوّن اسمه من مقطعين: الأوّل يعني الزوج، الرب، السيّد والثاني يعني الحارق أو الإله الحارق كونه عرف بإله الشمس. وهو إله المطر والخصب وكثرة



المحاصيل. احتل مكانة هامة لدى القرطاجيين إلى جانب زوجته تانيت إلهة الخصوبة والعطاء والأمومة والازدهار. لها مكانة لا تقل عن زوجها بل حمون.

يتأتى على هيئة رجل مسنّ بلحية كثة وشعر كثيف. يضع فوق رأسه قبعة مخروطية أو تاج برجى مزدان بالريش. يجلس على عرش يدعمه تمثالان لأبي الهول. يرفع بيده اليمنى إلى الأعلى وبیده اليسرى يمسك صولجان في نهايته سنبله قمح (D'andrea

Bruno, 2017: 12)

انتشرت عبادته في شمال إفريقيا عند القرطاجيين والإقليم التابع لقرطاجنة. وبلغت عبادته أرض النوميدي في عهد الملك ماسينيسا واستمرت حتى بعد سقوط قرطاجنة (Chastagnol André, 1970: 1321). ارتبط بالأصاحي البشرية مولك «Molk» والأصاحي الحيوانية ملكومور «Molchomor». بعد دخول روما إلى شمال إفريقيا، استمرت عبادة بلع حمون باسم ساتورنوس الإيطالي. لم يثير التقاء بلع حمون البوني وساتورنوس الإيطالي أي تصادم على أرض إفريقيا كونه حدث تحت شعار الهيلينية. بلع حمون البوني هو نفسه الإله كرونوس الإغريقي منذ القرن 5 ق.م (Cadotte Alain, 2007: 25) الذي يماثل بدوره ساتورنوس الإيطالي. مهما يكن، بقي ساتورنوس الذي يعدّ مجرد ترجمة لاتينية لبلع حمون، إله إفريقي إلى غاية النهاية.

2-1- من هو ساتورنوس:

إله إيطالي يماثل للإله الإغريقي كرونوس وهو إله الخصوبة الزراعية. اسمه مشتق من كلمة «Satur» وتعني الخيرات الوفيرة (Daremborg Charles et Saglio Edmon, 1873: 1086). يعدّ زوج الإلهة أوبس «Ops» إلهة خصب التربة. ويعتقد أنه بعد نفيه من الأوليمبوس اتجه إلى إيطاليا واستقر في الكابتول أين شيدت مدينة روما فيما بعد. واستقبله إله إيطالي قديم وهو الإله جانوس. وكان عصره عصر رخاء حتى عرف بالعصر الذهبي. كانت تقام له حفلة تدعى ستورنالية ابتهاجا بمناسبة الحصاد بدءا من 17 ديسمبر تزول أثناءها الفوارق الاجتماعية والامتيازات الطبقية ويستمتع بالعيد كل من السيد والخادم جنبا إلى جنبا وهي تشبه إلى حد بعيد حفلة كرونيا التي تقام على شرف كرونوس (Daremborg Charles et Saglio Edmon, 1873: 1086).

في شما إفريقيا، ترأس ساتورنوس البانثيون الإفريقي إلى جانب زوجته كاليبستيس وريثة تانيت القرطاجية. هو سيّد ذو سلطان، صاحب القدرات والخوارق في تصريف أمور الكون. يفوق مرتبة الآلهة الوثنية الأخرى. هو سيّد السماء يتضرع إليه الناس في فترات الجفاف لكي يسقيهم مطرا. يعزز انبات النباتات وخصوبة الحيوانات. يتحكم في القوى الطبيعية. يرمز إلى الهيمنة الملكية وأرض إفريقيا (Chastagnol André, 1321: 1970). يحيي المقابر ويمنح الخلود. يعدّ مرشد الشمس ويتمثل معه.

في نماذجه الفنية، يظهر ساتورنوس أحيانا واقفا وأحيانا جالسا على العرش (صورة رقم 1) أو مستلقيا في هيئة الشيخ المسن ذي الجلالة والأسي (Daremberg Charles et Saglio Edmon, 1873: 1088) في آن معا، ممسكا بالمنجل الذي طعن به أباه وإن كان يفسر أيضا بأنه منجل الحصاد. تمّ إدراجه في عبادة ساتورنوس الإفريقي، من قبل مواطنين ذوي الأصول الإيطالية، ساهموا في رومنة كبير الآلهة الإفريقية (Kaabia Ridha, 2008: 239). يرتدي ساتورنوس رداء الشملة يغطي الكتف وأسفل الجسم تاركا الصدر عاريا (صورة رقم 2). يسحب الرداء كوشاح فوق رأسه. يشبه في شعره الكثيف ولحيته الكثّة الإله جوبيتر والإلهين نبتونوس وبلوتون. يرفق بالحيوانات المكرسة للعبادة المتمثلة في الثور والحمل الى جانب الأسد رمز الملك.



صورة رقم 2: تمثال ساتورنوس تب

المصدر/ Gsell Stéphane, 1902, PL.XI,



صورة رقم 1: تمثال ساتورنوس ميلة

المصدر/ عن الباحثة

2-التوفيت ومعابد ساتورنوس:



على الرغم من أنّ استمرارية هذين النوعين من المعابد كان واضحاً، إلا أنّ الانتقال من عبادة بعل حمون إلى عبادة ساتورنوس كان تدريجياً تبعاً لدرجة تقدم الرومنة.

2-1- لتوفيت:

ظهرت معابد بعل حمون في وسط وغرب البحر الأبيض المتوسط بين القرنين 8 ق.م و 2 ق.م (D'Andrea Bruno, 2017: 5). عبارة عن فضاء محاط بسور مفتوح على الهواء الطلق يحتوي على حفرة مقدسة بها نار متأججة مخصصة للأضاحي. تدعى تلك الحفرة "التوفيت" (Chastagnol André, 1970: 1321). دفنت فيه جرار فخارية تحتوي على رماد أطفال صغار السن أغلهم من الأجنة أو المولودين أمواتا طبقاً لطقوس تعرف بـ «Molk» أو حيوانات محترقة في الغالب من فصيلة الغنميات وفق طقوس مولكومور «Molchomor». انتشرت في شما إفريقيا بكثرة خاصة في المدن التي كانت تابعة مباشرة لقرطاجنة.

كما يحتوي معبد التوفيت على أنصاب نذرية مهداة للثنائي بعل حمون وتأنيت باللغة الفينيقية نقشت عليها إمّا الكتابة البونية أو البونية الحديثة أو اللاتينية ونادراً ما كانت إغريقية أو ليبية (D'Andrea Bruno, 2017: 6).

لم تنتشر عبادة بعل حمون في قرطاجنة فحسب بل حتى خارج الإقليم التابع لإدارة قرطاجنة، في الممالك النوميديّة خاصة في عهد الملك ماسينيسا وذلك منذ القرن 3 ق.م. دلّت عليها التّدرّيات المكتشفة في معبد الحفرة بسيرتا مؤرخة بعهد الملك وأبنائه (مكيدسا، قولوسا ومستانبعل) ما بين عامي 163 ق.م و 147 ق.م (Picard Colette et al, 1996: 196). نقشت عليها الكتابة البونية والبوننة الحديثة.

حينما سقطت قرطاجنة انتقل زمام الأمر بين أيدي الرومان من الجانب السياسي ولكن المعتقدات الدينية بقيت بين أيدي الشعب الإفريقي خاصة وأن العديد من الطقوس وكذا الطابع المميّز للعبادة قد ظل على نفس الحال. وإذا كان بعل حمون من الوجهة النظرية قد انتهى عام 146 ق.م مع سقوط قرطاجنة لكن ساتورنوس أعاده إلى الحياة (Le Glay Marcel, 1966: 412).

2-2- معابد ساتورنوس:



بشمال إفريقيا، وعلى رأي الباحث مارسال لوقلي Marcel Leglay، بلغ عدد المعابد المكرسة لساتورنوس أو بالأحرى ما تبقى منها 178 بالإجمال (Chastagnol, 1970: 1321). تقع معابده بتونس والجزائر بصفة خاصة في القسمين المركزي والشرقي وتمتد زمنيا بين الربع الثاني من القرن 1 م و 4م-25: Cadotte Alain, 2007). (63).

انتشرت عبادته في المدن والقرى على حدّ السواء. وتلقى صدى عند السكان المحليين حتى أكثرهم رومنة. وقد شهدا القرنين 1 ق.م و 1 م التقاء بعل حمون وساتورنوس على أرض إفريقيا. وقد كانت عبادة ساتورنوس "إله حامي الحصاد" مرتبطة في هذه الفترة بالفلاحين المتمسكين بتقاليدهم وعاداتهم (Le Glay Marcel, 1966: 412). وذكر الباحث توتان في كتابه «Dei saturni dei cultu» حول عبادة ساتورنوس، أن الإله الذي يطلق عليه الأفارقة في العهد الإمبراطوري "سارتورنوس" هو في الحقيقة بعل حمون البوني القديم. ويتشارك الاسم نفسه مع ساتورنوس الإيطالي. في حين كان ذوي المقامات الرفيعة يهتمون بعبادة الآلهة الرسمية كان ساتورنوس يتمتع بحظوة كبيرة وسط العامة. وقد ارتبطت شعبيته وانتشرت عبادته خلال القرنين 1م و 2م بتطور الزراعة في إفريقيا خاصة وأن التجارة كانت تتوقف على هذا النشاط. وقد عدّت نهاية القرنين 1 و 2م فترة أساسية في تاريخ عبادة ساتورنوس، بحيث تعرضت عبادته لتأثيرات رومانية. إذ بنيت معابد كبيرة محل «Aereae» المقدسة المفتوحة على الهواء الطلق سواء بنوميديا أو البروقنصلية. والبعض منها تمّ التخلي عنها وإزالتها كما هو الحال بخميسة (قصبة)، مادور، هيبيون، ميله، قسنطينة وتيديس (Le Glay Marcel, 1966: 82).

وقد شهد منتصف القرن 2م تبني المعابد الرئيسية لطراز تمثالي جديد إفريقي روماني لساتورنوس الإفريقي على صورة إله ذو جلال إلهي ترمز ملحقاته الحيوانية وكذا المصنوعة على قوته الإلهية ذات البعدين: "العالمي والأبدي" (Le Glay Marcel, 1966: 82). وقد حظي بتقديس كبير، كونه كبير الآلهة الإفريقية ونعت بسيد الآلهة «Dominus» و«Frugifer» إله خصوبة الحقول بمدينة جميلة «Frugifer saturnus» (Le Glay Marcel, 1966: 202). ويتقاسم ذلك مع جوبيتر. وارتقى العرش على



البانثيون الإفريقي حاكما للعالم في مقام جوبيتر الذي طالما تماثل معه في النقيشات على الأنصاب «Jupiter Optimus Maximus Saturnus» (Le Glay Marcel, 1966 :90). كما ورث عليه العصا الملكية وطائر النسر. كما عدّ سيد العالم الآخر ويتقاسم ذلك مع بلوتون.

وقد لقيت عبادة ساتورنوس اشراقا كبيرا مع نهاية القرن 2م وبداية القرن 3م في عهد أولى السفيريين. بحيث أضحت المعابد فخمة وفاخرة ويتجلى ذلك في تيمقاد، جميلة وهيبون لما عرفته المعابد الأولى من توسيعات وترميمات. على العموم شهد ميلاد طراز جديد للمعابد "روماني إفريقي" بيد أن العمارة كلاسيكية (Le Glay Marcel 1966 :90).

بقيت معابد ساتورنوس قائمة حتى القرن 4م. وبجميلة، بنيت على أنقاض معبد ساتورنوس بازلليك مدنية ما بين عامي 364-367م.

3-أنواع معابد ساتورنوس و آثارها المادية:

تعددت أنواع معابد ساتورنوس وتنوعت مخططاتها بشمال إفريقيا. تعرف عليها الباحث مارسال لوقلي وعددها أربعة وتركت بعضها أثارا لا يستهان بها بنوميديا.

3-1- أنواع معابد ساتورنوس:

- الفضاء المقدس l'Area sacra: مفتوح على الهواء الطلق به صرح يعجّ بالأنصاب
- المعبد الريفي ذو المخطط البسيط: به صرح يعجّ بالأنصاب وممرى بمنشآت لإقامة الشعائر ومعابد صغيرة

- المعابد الإفريقية أو الرومانية الإفريقية: تتألف من مقدس ذو ثلاثة أجزاء مفتوحة في مؤخرة ساحة معمدة. يقع صرح الأنصاب خارج المعبد (D' andrea Bruno, 2017:9).
- المعبد ذو المخطط الدائري.

تختلف الفضاءات المقدسة والمعابد الريفية عن التوفيت في انعدام الجرار التي تحتوي الرمد، في الأنصاب النذرية التي تتألف باللغة اللاتينية وفي شكلها وإيكونوغرافيتها (Le Glay Marcel, 1961 :126-202). لم تؤثّق معابد ساتورنوس ذات المخطط البسيط والتوفيت أبدا في نفس المدينة أو المنطقة، كأنها لم تستمر جنبا إلى جنب (D' andrea Bruno, 2017 :10).



ويكمن الفرق بين المعبد الإفريقي والمعبد الروماني الإفريقي في تواجد أو انعدام المنصة التي يعلوها المقدس. أكتشف النموذج الإفريقي عديم المنصة في هيبوريجيوس (9: D'andrea Bruno, 2017) ونفض الغبار على النموذج الروماني الإفريقي بكويكول، تموقادي، وتبورسيكونوميدياروم (9: D'andrea Bruno, 2017).

الانتقال من المعبد المفتوح على الهواء الطلق إلى المعبد ذو الساحات والأروقة كان انطلاقا من نهاية القرن 1 بعد الميلاد وخاصة في القرنين 2 و 3 الميلاديين. حيث استبدل التوفيت بالمعبد كما هو الحال بهيبون وبني لأول مرة "ex novo" في المدن التي لم تشهد معابد التوفيت من قبل كتموقادي (121-133: D'andrea Bruno, 2014).

2-3- الآثار المادية:

بلغ عدد معابد ساتورنوس بلمباز ثلاثة (3). إحداها يعود الى عهد كركلا (211م) (CIL, VIII: 2670) مهدى لساتورنوس وزوجته أوبس الملكة «Ops Regina». وضمت مدينة خميسة الغنية بالأراضي الزراعية الخصبة معبدتين: الأول جنوب الفوروم الجديد و الثاني على تل داموس القصبة. وتم العثور بجميلة على بقايا معبد «Frugifer saturne» أسفل تخطيط بازيليك الإمبراطور فالو ننتيان، بني في النصف الأول من القرن 2م وقد تعرض للترينيات في عهد السفيريين. كما تواجدت بقايا معبد بعل ساتورن محل بازيليك سانت أغسطين بهيبون (366-367: Le Glay Marcel, 1961). وبمدينة عنونة تم الكشف عن معبد يقع جنوب شرق الكنيسة المسيحية (431-434: Le Glay 1966) Marcel, وبمدينة تيديس "الخنق" يقع معبد ساتورنوس على قمة جبل تيديس كان يطلق عليه "رأس الدار" (5: Le Glay Marcel, 1966). وبمدينة ميلة أكتشفت بقايا جدران لمعبد فخم لساتورنوس جنوب غرب السور البيزنطي لجستنيان (32-33: 1966: Le Glay Marcel,). كما عثر في الجوار على أنصاب تعود للقرنين 1ق م و 1م والتي تدل بدون شك على تواجد عبادة أقدم من المعبد الروماني. وهنشير الحمام، وجد مذبحين لساتورنوس بالقرب من الحمام أحدهما يؤرخ ما بين عامي 195-198 م (Le Glay 1980: Marcel, 1966: 178-180).

وبالعاصمة سيرتا، عثر على معبد بعل ساتورنوس بالحفرة، اكتشف عام 1950 من طرف «M. Berthier». وهو عبارة عن معبد بوني-روماني (جدول رقم 1).



ويبدو أنّ مدينة مادور التي عرفت بمعاصر الزيتون (Camps-Fabrer 25): Henriette, 1953 والتي كانت في غاية الرومنة لم يعثر بها على بقايا لمعبد ساتورنوس. بل تم الكشف عن أنصاب تعود للقرنين 2 و 3 م وعلى كتابة تذكارية نعت فيها ساتورنوس ب «Frugifer». هذا ما يدفع الى افتراض تواجد معبد ذو طراز إغريقي روماني محل «Aereae» البدائية (Le Glay, 1966: 361-362). بتمقاد، يتواجد معبد ساتورنوس على بعد 400 م شمال حمامات «Filadelphes» مؤرخ بالقرن 2 م وشهد هذا الأخير تعديلات مع السفيريين (Le Glay Marcel, 1966: 128-129). بنقاوس «Nicivibus»، دلّت الاكتشافات الأثرية على بقايا معبد ساتورنوس الى جانب ثلاثة أنصاب نذرية بضواحيها على بعد 5 كلم شمال غرب بقايا المدينة القديمة (Le Glay Marcel, 1966: 68).

أمّا بمدينة قالمّة، ليس هناك ما يدلّ على معبد ساتورنوس. وبما أنها منطقة فلاحية وتعتمد على تربية المواشي يفترض تواجد معبد لبعّل حمون ثم أصبح لساتورنوس. ربما كان يتمركز على الضفة اليسرى لوادي السخون شمال غرب المدينة (Le Glay Marcel, 1966, 386-387). وبتبسة تم الكشف عن معبد لساتورنوس بموقع هنشير الرهبان على بعد 500 م غرب المدينة. عثر في عين المكان على عدد هائل من تماثيل وأجزاء تماثيل الإله ساتورنوس يصل عددها إلى ثمانية (8). إضافة إلى نقيشة تذكارية تدلّ على معبد ساتورنوس الى جانب تمثال العبادة. وأخيرا وبزانا «Diana» «Veteranorum» نفص الغبار على قاعدة تمثال تحمل نقيشة مهداة للإله ساتورنوس كبير الآلهة (CIL VIII, 4580).

المرجع	مكان الاكتشاف	المدينة	
CIL, VIII, 2670	موقع لمبارز	Lambaesis	01
Gsell Stéphane et Joly Charles Albert, 1922 : 28-29 et 37	جنوب الفوروم الجديد وتل داموس القصبة	Tubursicu Numidarum	02
Le Glay Marcel, 1966 : 202	أسفل البازليك المدنية	Cuicul	03
D'Andréa Bruno, 2014a : 121-123 et 269-270	بازليك سانت أغسطين	Hippo Regius	04
Le Glay Marcel, 1961 : 431-434	جنوب شرق الكنيسة المسيحية	Thibilis	05
Le Glay Marcel, 1966 : 5	رأس الدار	Castellum Tidditanorum	06

Le Glay Marcel, 1966 : 32-33 et 35	جنوب غرب السور البيزنطي لجسنتيان	Milev	07
Le Glay Marcel, 1966 : 178-180	هنشير الحمام، بالقرب من الحمامات الرومانية	Aquae Flavianae	08
Berthier André et Charlier René : 1955, 53-62	الحفرة	Cirta	09
Le Glay Marcel, 1966 : 126-129	شمال حمامات Filadelphes	Thamugadi	10
Le Glay Marcel, 1966 : 68	ضواحي المدينة القديمة	Nicivibus	11
Le Glay Marcel, 1961 : 332-333	هنشير الرهبان	Theveste	12

جدول رقم 1: آثار توزع بقايا معابد ساتورنوس بنوميديا

المصدر/ عن الباحثة

4- الآثار الإيكوغرافية الدالة على عبادة ساتورنوس:

تركت عبادة ساتورنوس الإفريقي آثارا إيكونوغرافية دلت على انتعاش عبادته بنوميديا. تتمثل في الأنصاب النذرية مع ما تحمله من دلالات ورموز ونقيشات.

4-1- الأنصاب النذرية:

بشمال إفريقيا، وعلى رأي مارسال لوقلي وصل عدد الأنصاب النذرية إلى ما يقارب 3000 نصب (Chastagnol André, 1970: 1321). تعدّ من مميزات التوفيت ومعابد

ساتورنوس. وهي المؤشر الدال على تموضع هذه المعابد أو افتراض تواجدها (D'andrea Bruno, 2017 :12).

تعد أنصاب ساتورنوس المؤرخة بالنصف الثاني من القرن 1 ق.م إلى القرن 4م استمرارية لتلك الموجودة في التوفيت للفترة المتأخرة (القرن 3 ق.م-القرن 2م) سواء في الشكل ويتعلق الأمر إمّا بالقمة المستديرة، المسطحة (صورة رقم 3) أو المثلثة (صورة رقم 4) أو الرموز مع إدراج بعض العناصر ذات التقليد الكلاسيكي (D'andrea Bruno, 2015 :211-212) فأضحى النصب الصندوقية « La stèles à caisson » من الأشكال الجديدة المستوحاة من التقاليد الرومانية (Le Glay Marcel, 1966: 113).

تتأتى أنصاب ساتورنوس في شكل سجلات أفقية متناضدة تفصل بين المجال البشري والمجال الإلهي. تتأتى الآلهة في صورة بشرية وعلى رأسهم ساتورنوس ومرافقيه من الآلهة الشمس «sol» والقمر «Luna» أو الديوسكور «Dioscures» (Cadotte Alain, 2007: 40-43). تحمل أنصاب ساتورنوس مشاهد الأضحية الحيوانية من صنف البقرات (الثيران) وهي أكثرها إلى جانب الغنميّات (الخرفان). المشهد الأكثر تداولاً هو تقديم الحيوان للإله كقربان ولكن نادراً ما يمثل الذبح الطقوسي أو مشهد القربان على المذبح (D'andrea Bruno, 2014 :32).

وتوزعت هذه الأنصاب على عديد المتاحف الوطنية و مازال الكثير منها قابعا في المخازن و المستودعات دون إحصاء دقيق. كما أنّ هناك ما استأثر به متحف اللوفر بباريس.



صورة رقم 4: نصب ساتورنوس سيلاق



صورة رقم 3: نصب ساتورنوس تيمقاد

المصدر D'andrea Bruno, 2017, fig.4, g المصدر Dorbane Mustapha, 2003, fig. 117

2-4- النقيشات:

بشمال إفريقيا، تعود أولى النقيشات المهداة لساتورنوس إلى النصف الثاني من القرن 1 ق.م عثر عليها بتونس في «Ain Gassa» (Le Glay Marcel, 1963: 63-64) في منطقة الساحل وفي «Hr El-Faouar» (Mahjoubi Ammar, 1978: 115-116) التل الشمالي بمقاطعة أفريقيا «Arica». بعد ضم الممالك النوميدية والمورية نشهد أولى معابد ساتورنوس ورواجها في المقاطعات الرومانية الجديدة. كما شاعت حتى في المدن التي لم تعرف معابد التوفيت من قبل كتبسة ومنطقة الأوراس.

تأتي النقيشات على الأنصاب المهداة لساتورنوس دائما باللغة اللاتينية. يأتي فيها ساتورنوس دائما بصيغة «Datif» يتبعه صاحب التكريس بصيغة «Nominatif» وينعت ب «Sacerdos» (Le Glay Marcel, 1966: 359-400) وفي الأخير العبارة النذرية: «votum solvit libens animo». أحيانا تتضمن النقيشات عبارات تدل عن وجود أسرار ساتورنالية مفادها الخضوع والاستسلام التام للإله «intravit sub ingum» (Le Glay Marcel, 1988: 234) كما هو الحال في مواقع عزيز بن تليس وبرج مامرة في حدود إقليم سيرتا وكويكول بنوميديا (Sebai Meriem, 2010: 273). وترتبط عبارات «Ex viso»، «Jassu dei»، «somnio monitus et viso capite» بالتنبؤات الإلهية وتشير أنّ النذر قد أقيم بأمر إلهي إما وحي أو تراء.

دلّت نقيشات معابد ساتورنوس على خصوصية الطقوس النذرية المؤدة وطابعها العائلي الخاص. خصّت بعض النقيشات بعنونة وخنشلة على ذكرى تقديم حيوان الثور كقربان لساتورنوس بعبارة «De pecoribus, vitulus» (D'Andrea Bruno, 1966: 39) كما دلّت ستة نقيشات لساتورنوس بنقاوس والمؤرخة بالقرنين 2 و3 ميلادي على الأضاحي الحيوانية باستعمال عبارة Molchomor/ Morchomor. يتعلق الأمر بخروف «Agnus» أهدي كأضحية استبدال من طرف المهدي لضمان صحة أطفاله «Pro salute» (Le Glay Marcel, 1966: 68-75)



- خاتمة:

بعد دراسة مظاهر عبادة ساتورنوس الإفريقي خليفة بعل حمون البوني بنوميديا تبينّت لنا حصيلة من الاستنتاجات نوجزها فيما يلي:

- ظاهرة التماثل الديني أو الانصهار الديني أو ما يعرف «Interpretatio romana» بين الآلهة الإغريقية الرومانية والآلهة الليبية والبونية واثته العلاقات التي كانت تربط العالم الهيليني مع قرطاجة ومع النوميد وعلى رأسهم الملك ماسينيسا.

- لم يثر التقاء بعل حمون البوني وساتورنوس الإيطالي أي تصادم على أرض إفريقيا كونه حدث تحت شعار الهيلينية: ساتورنوس الإيطالي هو نفسه كرونوس الإغريقي.

- شهدت عبادة وساتورنوس راجا كبيرا بنوميديا. كان يتمتع بحظوة كبيرة وسط الفلاحين المتمسكين بتقاليدهم وعاداتهم. وقد ارتبطت شعبيته وانتشرت عبادته خلال القرن 1م و2م بتطور الزراعة في إفريقيا خاصة وأن التجارة كانت تتوقف على هذا النشاط. ارتبطت شخصيته بشخصية بعل حمون: أليس هو أيضا إله الخصوبة والزراعة. وإذا كان بعل حمون من الوجهة النظرية قد انتهى مع سقوط قرطاجة عام 146ق.م لكن ساتورنوس أبقى عليه على قيد الحياة. إن لهذا الإله مسؤولية معتبرة في إخفاق سياسة الرومنة التي اتبعتها روما لاختضاع المنطقة على رأي مارسال بينابو.

- تعدّ الأنصاب النذرية من خصائص التوفيت ومعابد ساتورنوس. وهي المؤشر الدال على تموضع هذه المعابد أو افتراض تواجدها. تعدّ تلك المؤرخة بالنصف الثاني من القرن 1ق.م إلى القرن 4م استمرارية لتلك المتواجدة في التوفيت للفترة المتأخرة (القرن 3ق.م- 2م) سواء في الشكل أو الرموز مع إدراج بعض العناصر ذات التقليد الكلاسيكي. أنصاب تطورت أشكالها و مصورتها دون أقصاء الموروث.

- أدلت نقيشات أنصاب التوفيت ومعابد ساتورنوس على خصوصية الطقوس النذرية المؤداة وطابعها العائلي الخاص وفق طقوس المولك «Molk» أو مولكومور «Molchomor». على العموم، اتضح من الإيكونوغرافيا والنقيشات على الأهمية القصوى للأضاحي الحيوانية من نوع البقيات بالمقارنة مع التوفيت أين تطغى الأضاحي من فصيلة الغنميات.



- بشمال إفريقيا، على الرغم من استمرارية التوفيت ومعابد ساتورنوس، إلا أنّ الانتقال من عبادة بلع حمون إلى عبادة ساتورنوس كان تدريجياً تبعاً لدرجة تقدم الرومنة. هناك ثلاث فرضيات تخص اكتشاف معابد التوفيت ومعابد ساتورنوس في مركز واحد: يتعلق الأمر: إمّا بتراكب المعبد (معبد ساتورنوس تنصّد على معبد التوفيت)، أو بتموضع معبد ساتورنوس محاذاً لمعبد التوفيت أو بعيداً عنه نسبياً. بقسنطينة على سبيل المثال، استعمل معبد ساتورنوس والتوفيت في زمن واحد.

- لا تحفظ النماذج الفنية لساتورنوس الإفريقي سمات استثنائية تدلّ على محليته. فصورته في معظم الأحيان مستوحاة من الطراز الإغريقي الروماني. يتأتى دائماً بمنجله على هيئة العجوز الشكس المتكتم والظغون. أما الشعر الكثيف واللحية الكثّة فهي من مميزات جوبيتر، نبتونوس إلى جانب بلوتون. زد عليها ذيل الشملة التي يسحبها على رأسه على شكل وشاح تاركا الجبهة عارية، فهو يليق بالكهنة وفق الطقوس الروماني. ورغم ذلك، بقي الإله ساتورنوس كبير الآلهة في إفريقيا أبدى الدهر "إفريقي محظ". من المستحيل رومنة الروح.

- ويظهر أنّ انتعاش عبادة ساتورنوس سببه تعلق الأفارقة بعقيدة التوحيد « Monotheisme », و هو أمر لا نجده في الإمبراطورية الرومانية بنفس القدر من الوضوح كما هو الحال في شمال إفريقيا.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1-Cadotte Alain, (2007). La Romanisation des Dieux : l'interpretatio romana en Afrique du Nord sous le Haut- Empire, Religion in the gréco-romain world, Boston et Leyde : Brill.
- 2-Camps-Fabrer Henriette, (1953). L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine, Alger : Imprimerie officielle, Gouvernement générale de l'Algérie.
- 3-Chastagnol André, (1970). « Marcel Le Glay, Saturne Africain [comptes rendu] ». Annales Economies, Sociétés, Civilisations, Ecole des hautes études en science sociales, 25 années, n°5, p1321-1324.
- 4-Corpus Inscriptionum latinarum(CIL), Inscriptiones Africae Latinae, (1881) : Académie de Berlin.
- 5-D'Andrea Bruno, (2014). I tofèt del Nord Africa dall'età arcaica a ll'età romana (VIII sec. a. C.-II sec. d. C.), Pisa- Roma : Fabrizio Serra.
- 6-D'Andrea Bruno, (2017). « De Baal Hammon à Saturne, continuité et transformations des lieux et des cultes (IIIème siècle av. J.-C.- IIIème siècle apr.



J.-C) ». Hal open science, de la Fondation maison des sciences de l'Homme, working paper, n° 125, p1-22.

7-D'Andrea Bruno, (2020). « Gli animali nelle stele votive punico-romane del Nord Africa relative al culto di Baal Hammon/Saturno (V sec. a. C. –IV sec. d. C.)». Cartagine Studi e Ricerche(Caster), Università degli Studi di Cagliari, Volume 5, p25-46.

8-D'Andréa Bruno, (2015). « Continuità e rottura nel passaggio dell'età punica all'età romana in Nord Africa : l'esempio delle stele votive. Tipologie formali, iconografie e iconologie ». Atti del ventissimo convegno internazionale di studi, L'Africa romana XX, 26-29 settembre 2013, Alghero, Italy : in Paola Ruggeri (Ed.).

9-Daremborg Charles Victor & Saglio Edmond, (1873). Dictionnaire des antiquités grecques et romaines, Paris : Librairie Hachette et C^{ie}.

10-Dorbane Mustapha, (2003). Dieux et déesses à l'image de l'homme. Nadhib Ferhat et 2 de plus, l'Algérie en héritage, Arts et Histoire, Paris : Actes sud. p192-207.

11-Gsell Stéphane, (1902). Musée de Tébessa, Musées de l'Algérie et de la Tunisie, Paris : Ernest Leroux.

12-Kaabia Ridha, (2010). « La harpé : un attribut de romanisation du culte de saturne africain ». Dans. Actes du 1^{er} colloque international Iconographie et Religions dans le Maghreb antique et médiéval, Institut Supérieur des Métiers du Patrimoine, Ministère de l'Enseignement supérieur et de la Recherche Scientifique, 21-23 février 2008, Tunis : p239-252.

13-Le Glay Marcel, (1966). Saturne Africain, Monuments2 : Numidie – Maurétanie, Paris : CNRS.

14-Le Glay Marcel, (1966). Saturne Africain, Histoire, Bibliothèque des Ecoles françaises d'Athènes et de Rome, Paris : Editions de Boccard

15-Le Glay Marcel, (1961). Saturne Africain, Monuments1 : Afrique proconsulaire, Paris : CNRS.

16-Le Glay Marcel, (1988). « Nouveaux documents, nouveaux points de vue sur Saturne Africain ». Acta Colloquii Bruxellensis habiti diebus 2 et 3 mensis Maii anni 1986, in Studia phoenicia VI, Carthago Louvain, p187-237.

17-Mahdjoubi Ammar, (1978). Recherches d'histoire et d'archéologie à Henchir El-Fouar. La cité des Bilalitani Maiores, Tunis : Publications de l'Université de Tunisie, archéologie et histoire, 12, Université de Tunisie.

18-Picard Colette, Picard Gilbert-Charles, (1956). « Le sanctuaire punique de Cirta ». Revue archéologique, Published by presses Universitaires de France, sixième série, tome 47, p196-199.

19-Toutain Jules, (1894). De saturni dei cultu, Paris : Kessinger publishing.